التعبير في الحرب الأهلية

إلياس خوري

ليست الحرب الاهلية مجرد لحظة انفجار التناقضات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي اشعلت هذا اللهب الوطني . بل هي حركة الانفجار في جميع لحظاته . الحرب الاهلية هي مسافة زمن التناقضات . حيز من التوتر والعلاقات والتغيير . واذا كانت السياسة تحكم كل حرب فهي تحكمها بوصفها محددا، غير ان السياسة كبنية ليست في الحرب الاهلية سوى الغطاء الذي يكشف الداخلي العميق ويحدد وجهته . والداخلي هذا، هو الذي ينفجر مبيدا تشكيل نفسه في لحظات اللاتوازن المهددة بالانهيار . ان الطابع السياسي الغالب الذي ظهر داخل المسار العام للحرب ، وداخل شبكة الاشارات التي انتجتها وسائل الاعلام ، لعب ولا يزال يلعب دور الخلفية التي تقف على قاعدتها مجموعة لا تحصى من التحركات والصدامات التي ترمي احشاء العلاقات الاجتماعية الى الخارج ، حيث يختل النظام القديم ، وتتمرد الدلالات لتشير الى نفسها (علاقاتها) ولترسم لوحة الحرب الاهلية .

الحرب الاهلية هي تعبير عن المجتمع بكل تناقضاته . انها بشكل ادق ، تعبير عن حركة التناقضات التي في المجتمع بعد انخلعت قفازها وتركت الاشكال المعقدة التي تحجبها ، من اجل ان تعيد النظر في علاقات الاشياء وفي سلم القيم الايديولوجية والسياسية التي فيها . الحرب كل حرب هي لحظة اختبار تاريخية . فالحرب العامة تستطيع ان تعبر عن الحركة العامة في مجتمع ما ، وبنيته الطبقية ودور المؤسسة السياسية وصلاحياتها ولحظات تعرضها للانهيار . اما الحرب الاهلية فهي تبدأ من هذه اللحظة . من لحظة الانهياروتكشف بالتالي التركيبة الاجتماعية فارضة على لحظاتها باسرها ان تتركب داخل الانهيار وان تمارس بشكل فعلي . ربما هذا هو على مستوى السياق التاريخي احد اسباب كون الحروب الاهلية تاتي في نهاية الحرب العامة ـ ثورة اكتوبر ـ او داخل مسار الحروب الوطنية ـ الصين ـ فيتنام ـ فالحرب الاهلية تصبح ممكنة او اكثر سهولة في سياق الحرب الشاملة ، حيث تتعرض البنية القمعية للاهتزاز ، ويدخل